صورة المغربي المسلم في أدب الرحلة الغربي خلال القرن العشرين
فاس أو برجوازيو الإسلام للأخوين تارو أنموذجا

سكينة شهبون
مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام والتواصل
بجامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية ظهر المهراز
فاس – المغرب

الملخص:

يبحث هذا المقال في مصادر الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في الكتابات الغربية خلال القرن العشرين، حيث حاول المستعمر خلال فترة الاستعمار تشجيع الدراسات الغربية حول المغرب نظرا لحاجاته إلى فهم أوضاع المسلمين في البلاد التي استعمرها حتى يتسنى له العمل على التبشير بحضارة الغرب وتفتيت وحدة المسلمين وتراثهم، قيمهم وعاداتهم وتشويه صورة الإسلام في العالم الغربي.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، صورة، الثقافة المغربية، الإسلام.

Abstract:

This paper deals with writing of the western Travelers that participated in the exploring the countries they visited in the twentieth century. During the colonial period, the French colonizer tried to encourage western studies on Morocco due to his need to understand the Islamic culture and describe the Muslim's way of life, their heritage and values, their customs and distortion the image of Islam in the western world.

Keywords: Travel literature, image, Moroccan culture, islam.

تمهيد:

كانت للمغرب عبر التاريخ أهمية خاصة امتازت بها عن باقي البلدان العربية، أهمية عززها الموقع الاستراتيجي للبلد وقربه من القارة الأوروبية، إذ أخذ يجلب أنظار الرحالة الغربيين ليتوافدوا عليه و يقوموا بجمع معلومات تهم جميع المستويات الدينية، الاقتصادية، الاجتماعية و العلمية وغيرها، و لم يأتي الرحالة إلى المغرب وهم جاهلون له بل أتوا مزودين بأفكار وأحكام جاهزة مسبقة، توحد بدون شك نظرتهم إليه ولهذا انطلق هؤلاء الرحالة في كتاباتهم عن المغرب من معطيات أهمها كونهم شعب متحضر يريد حكم شعب متخلف، وما من شك في أن لهؤلاء الرحالة دواع كثيرة دفعتهم إلى الاهتمام بالمغرب لعل أبرزها الرغبة في التعرف على بلد عربي تنافست على استيطانه العديد من الدول الأوروبية، وقد دخل هؤلاء الرحالة إلى المغرب بصفات و أهداف متعددة فمنهم الباحث وعالم الأثار و منهم السائح والتاجر ومنهم الطبيب و منهم المبعوث السياسي والديبلوماسي ومنهم الجاسوس، وقد قام هؤلاء الرحالة بدراسة أوضاع البلاد والتعرف على أحوالها، ومثلما اختلفت أهدافهم فقد اختلفت كتاباتهم عنها فمنهم من كان منصفا ومحايدا وامتازت كتاباته بالموضوعية ومنهم من سيطرت على كتاباته روح التعصب الديني وعدم الموضوعية.

- **صورة المغربي المسلم في أدب الرحلة الغربي خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين**

خلفت رحلة الفرنسي شارل دو فوكو إلى المغرب خلال القرن التاسع عشر صدى عميقا في الأوساط الأوروبية عامة والفرنسية خاصة، حيث ركز فيها على الجانب الاقتصادي والديني والسياسي والثقافي كعادات الأهالي ولباسهم وأكلهم وطباعهم وانتمائهم[1]، وقد أثارت هذه الرحلة رغبة العديد من الدارسين بتحقيق رحلات مماثلة إلى المغرب.

توالت الرحلات من قبل الرحالة الأجانب و نخص بالذكر الفرنسيين منهم والإسبان و كان الهدف من وراء بعضهم وخاصة الفرنسيين منهم جعل المغرب متقدما، اعتبارا بأن فرنسا بلد قويا قادر على قيادة مستقبل المغرب في ظل الانحطاط الذي يعيش فيه، علاوة على مباشرة المجتمع المغربي و الاقتراب من أصوله و عاداته و كذا شغفهم برؤية ومعرفة واقع البلدان الأجنبية الغريبة، وقد جاء على لسان أحد الرحالة ما يفند ذلك إذ قال" **ما فعلته فرنسا للمغرب هو في صالحه، حيث جعلت منه بلدا مثاليا للسفر و العيش فيه بسلام من غير أن تلحق به ضررا**"[2].

انطلاقا من كتابه "أسفار إلى المغرب" Voyage Au Maroc، تمكن الرحالة بالرغم من خلفياته الإيديولوجية من تقديم معلومات وملاحظات دقيقة حول حياة سكان الريف وجبالة، حيث وصف مناطق من شمال المغرب وبالخصوص ما يتعلق بدور الشرفاء وعلاقة المخزن بالقبائل وعلاقة القبائل الريفية والجبلية فيما بينهما، كما وصف سكان هذه المناطق " **...العربي مضياف لكنه خائن بينما الأمازيغي، وفي، يضحي بنفسه من أجل الغريب**[3]، **إلا أنهم شرسين و متعصبين دينيا وأن العنف هو الخاصية الأساسية التي يتميز بها البربر**[4]، كما وصف المرأة البربرية بالمتحررة عكس المرأة العربية ، إذ تساهم مثل الرجل في تسيير شؤون الحياة اليومية إلا أنها في المقابل لا تحترم الأعراف الزوجية علاوة على تقديمه وصفا دقيقا لبعض الطقوس والممارسات المرتبطة بالزواج في الوسط البربري[5].(Segonzac)

وصف الرحالة شوفريون المسلمين بأنهم قذرين ألصقوا اليهود عادة الوسخ والقذارة إذ يقول في هذا الشأن: «**إذ نحن علمنا أن الأسياد المسلمين قد عملوا ما في وسعهم كي يلصقوا بيهودهم عادة الوسخ والقذارة بمنعهم من ارتياد الحمامات**"[6].

وفي معرض حديثه عن النساء فقد **وصفهن بالشاحبات، البائسات، المثقلات بالعجب مثل راهبات بلاده، يرتدين ملاءات لا يظهر منهن أي عضو (...) كاليت الملفوف في كفنه**[7]، غير أنهن يصبحن حسناوات بمجرد خلع ذلك اللباس الرسمي الذي يضيع فيه جمالهن الأخاذ[8].

وعند حديثه عن الفاسي فهو بالرغم من تعصبه الديني يتقبل الحضارة الأوروبية بالرغم من الإكراهات إذ يقول: «**إنهم مثل إخوتهم بطنجة يقبلون بطواعية تلقي امتيازات أوروبا وتأثيرها، فالأيادي ترفع لتحيتنا وعيونهم تحدثنا ونحن نحييهم**"[9].

اهتم الرحالة الإسبان هم كذلك بالمغرب بدافع الاستيطان وتمنوا ألا تتخلى الحكومة الإسبانية في المستقبل عن الاهتمام بالمغرب[10]، وقد حل الرحالة الإسباني آرثر دي كابل بروك Arthur De Capell Brooke بالمغرب لزيارته وتفقد المعالم والثقافة الأندلسية فيه، وصف المغاربة بالشعب المضياف[11]، وأما عن أجمل النساء فهي المرأة اليهودية[12]، فوضع على إثر ذلك كتابا عنونه «.Sketches in Spain and Morocco»

سعت البرتغال كغيرها من الدول الأوروبية إلى استعمار المغرب حيث جاء مجموعة من الرحالة البرتغاليين في إطار صحفيين ، وقد نقل لنا الدكتور عبد المنعم بونو من خلال كتابه بأن أغلب الرحالة البرتغاليين صوروا المغرب على أنه عالم تلتقي فيه جماعات عرقية بطريقة مباشرة تقوم على التعايش السلمي والاحترام المتبادل بين اليهود و العرب، بينما ينظر إلى

الأوروبي بعدم الثقة **"نشاهد عددا كبيرا من المسلمين(...) ليسوا مضيافين ولا يتقون في الأوروبي و تظهر على وجوههم أحقاد تاريخية تنبع من أرواحهم"**[13]، كما أنهم صوروا المرأة المغربية انطلاقا من أحكام مسبقة والتي لا يسمح بموجبها للمرأة أن تبدو للأجنبي فهي **مكسوة بالحايك من شعرها حتى أخمص قدميها وعيناها دائما غريبتان(...) حيث تصبح شبحا مغريا يثير الفضول ويثير الرغبة في اقتحام عالمها**[14]، من خلال هذه النصوص يمكن اعتبار أن أغلب الرحالة أتوا إلى المغرب بهدف اكتشاف الواقع واشباع رغباتهم و حواسهم بما هو غريب و عجيب في ثقافة الآخر.

يصور الرحالة الإيطالي إدموندو دي اميتشيس Edmondo De Amicis المغرب بأنه أرض التسامح و التعايش و تمازج الثقافات، إلا أنه يظل مجهولا بالنسبة له ولغيره من الرحالة الأجانب بحيث يقول: **"أنت الآن في بلد مجهول لا فائدة منه (...)"**[15]، وفي معرض حديثه عن المغاربة يصفهم بأنه " **شعب غريب الأطوار، عصابة من قطاع الطرق، مغفلين بالمقابل يقدم صورة مشرقة عن اليهود المغاربة عن نشاطهم الدؤوب، ووداعتهم و أناقة ملابسهم، وعن جمال نسائهم"**[16]، وأما عن المرأة المغربية فيقول:**" أنا هنا في طنجة منذ سبعة أيام ، لم أتمكن من رؤية وجه امرأة عربية، إنني أبدو كشخص في حفلة تنكرية تمثل فيها جميع النساء أشباحا تلفها ملاءات جنائزية"**[17]، فهو يسجل حسب قوله بمرارة، صعوبة وصف المرأة المغربية نظرا لارتدائها ملابس لا تكشف أي شيء منها.

تحدث أيضا عن تعدد الزوجات وطقوس الختان والصلاة والرقص والزواج وقد اعتبرها من أغرب الأشياء التي صادفها في رحلته.

وصف الرحالة الإيرلندي آرثر ليرد Arther Leard من خلال كتابه " زيارة إلى البلاط المغربي" A visit to the court of Morocco المغرب بالبلد المتخلف وأنه رفض القبول بالحضارة الأوروبية وأن الدين الإسلامي يشكل عائقا أمام تقدمه و ازدهاره حيث قال في هذا الإطار:**" لو أن المغاربة اعتمدوا سياسة أوروبا و نظمها كما فعل اليابانيون ربما كانوا سيتبوؤون مكانتهم بين الأمم كدولة عظمى ولكن دينهم يشكل سدا منيعا أمام هذا الاتجاه"**[18]، وعند حديثه عن الشعب، فإن الرحالة وصفه بالمتسامح فيما يخص علاقته بالديانات الأخرى يهودا كانوا أو مسيحيين وأنه شعب متمسك بديانته ويظهر ذلك جليا من خلال إحساسه بالغيرة على مساجدهم و نسائهم و ثقافتهم كما لا يخلو الوصف من حيز للمرأة المغربية حيث

يعتبر المكناسيات هن أجمل النساء، وعند حديثه عن الحياة الروحية و المعمار الإسلامي لمدينة فاس، خص بالذكر ضريح المولى إدريس حيث قال:

"إن للأضرحة والمساجد قداسة تختلف عن باقي البلدان الإسلامية في الشرق، هناك زقاق في هذه المدينة يمنع على اليهود والنصارى دخول المسجد(...) إنه ضريح المولى إدريس قديس هذه المدينة ومؤسسها الذي يتردد اسمه في أفواه كل المتسولين والذي لا يتم فعل أي شيء بدون مباركته وذكر اسمه"[19].

ومن الرحالة الذين اهتموا بالحياة الروحية لمدينة فاس نجد الرحالة جون هورن Jhon Horne الذي تحدث عن الأماكن المقدسة وعلى رأسها ضريح المولى إدريس إذ يصفه بقوله:

"يعتبر ضريح أو زاوية مولاي إدريس مركز الحياة بالنسبة لساكنة فاس، فمن المهد إلى اللحد هناك ارتباط لكل الأحداث التي يصادفها الفاسي في حياته بهذا الولي، إذ لا يتخذ أي قرار بدون مباركة منه وكل الناس يقسمون باسمه(...) "[20].

قدمت الرحالة الفرنسية دولاشارييز Reynolde Ladreit de lacharriere إلى المغرب في فترة الإعداد للحماية الفرنسية، وقد صورت لنا مدى فرحتها وهي تعبر الباب الأول لفاس، فقد كان حلما طالما روادها، وفي معرض حديثها عن النساء الفاسيات **"فهن نساء ملتحفات بأغطية سميكة، رشيقات في مشيتهن، وعن سكانها فهو شعب كريم، لا يبخل بالنصائح والمساعدات حتى أنهم أناس يكتنفهم الإحساس بالثقة، كما أن اللطف والصداقة من ميزاتهم"**[21].

أما الرحالة إليانر إلزنر Eleanor Elsner فقد عبر عن إعجابه بالمغرب واعتبره مختلفا عن تونس والجزائر وما آثار انتباهه التعايش السلمي الذي يطبع العلاقة بين المغاربة والأجانب و أعطى مثالا بتاجر بريطاني استقر بالمغرب لمدة نصف قرن و ربط علاقة صداقة قوية بالمغاربة حيث قال: **"يعد روبرت سبيني Robert Spinney واحدا من التجار البريطانيين الأوائل الذين استقروا بالمغرب و خلال نصف قرن استطاع أن يربط مع المغاربة علاقة صداقة مثينة(...)"**[22].

أظهر الألمان هم كذلك اهتماما كبيرا بالمغرب حيث شارك في هذه الرحلات دبلوماسيون وباحثون وجغرافيون أرادوا من خلالها استكشاف البلد المجهول، ومن هؤلاء الرحالة نجد: "فريديرك جيرارد رواف" Friedrick Gerhard Rohlfs حيث وصف المغرب مبديا إعجابه من جهة ومتأسفا على ما شاهده في نواح أخرى من قبيل صفات المغاربة إذ بالرغم من أنهم شعب كريم ومضياف إلا أنهم شعب متعصب وحشي وأمي[23].

انتقل بعد ذلك للحديث عن الإسلام بما فيه الصلاة، مواعيدها وكيفية إقامتها، ثم عن الأمراض (الكوليرا، داء الكلب، حمى التيفوس..) وكيف أن المغاربة كانوا يستخدمون طرقا بدائية للعلاج من قبيل شرب زيت الزيتون وزيت الأركان[24].

وفي معرض حديثه عن المرأة فإنه يلغي كل ما قيل عن المرأة بأنها آمة، حبيسة المنزل ومراقبة من طرف زوجها بل هي امرأة مثابرة تعمل أكثر من الرجل إذ يقول:

"في الحقيقة إن المرأة تعمل أكثر من الرجل وهذا لا يعني أن الرجال خاملين، فإن كان عملها يتجلى في تربية الأبناء وغيرها من أشغال البيت فإن عمل الرجل يقتصر على العمل خارج البيت في الحقول وغيرها.."[25]

وفي موضع آخر، أعجب الرحالة الألمان بالمرأة المغربية اليهودية فوصفوها بالمخلصة والرشيقة، البسيطة، المتواضعة ثم الدؤوبة في العمل، ويمكن القول باختصار بأن **"اليهوديات المغربيات أفضل من المغربيات البربريات، إنهن فتيات وزوجات مخلصات، رشيقات، وبسيطات، متواضعات ودؤوبات في العمل"**[26].

- **صورة الفاسي المسلم في أدب الرحلة الغربي خلال القرن العشرين: فاس أو برجوازيو الإسلام Fes ou les bourgeois de L'islam للأخوين تارو أنموذجا**

التعريف بالرحالين:

ولد جيروم تارو في 11 مايو 1874 في سان جونيان بمقاطعة (فسيين العليا)[27]، وقد كان مديراً لجامعة بودابست ثم انقطع إلى الكتابة والتأليف بالاشتراك مع شقيقه جان تارو الذي ولد في التاسع من ماي 1877م بنفس المقاطعة، اشتغل الشقيقان معا لمدة خمسين سنة على عمل يحمل اسميهما، وقد نالا جائزة جونكور سنة 1906 لكتابهما (دنجلاي كاتب شهير: Dingley l'illustre écrivain)، قاما برحلات كثيرة خصصا لها كثيراً من مؤلفاتهما ومنها: (في بريطانيا)، (في فلسطين)، (مراكش أو سادة الأطلس ،وقد نال جيروم وجان تارو سنة 1919 الجائزة الكبرى للآداب [28].

توفي جيروم تارو في 28 يناير 1953م بينما توفي جان تارو في الثامن من ابريل 1952م.

- ✓ **من أعمالهما المشتركة:**

- *La Fête arabe* (1912)
- *Rabat, ou les heures marocaines* (1918)
- *Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas* (1920)
- *Le Chemin de Damas* (1923)
- *Rendez-vous espagnols* (1925)

دواعي الرحلة:

ألف **الأخوين تارو** هذا الكتاب عن مدينة فاس سنة 1930 م بدعوة من المقيم الفرنسي العام المارشال ليوطي Hubert LYAUTEY لتعريف الفرنسيين بالمغرب عامة وبمدينة فاس على وجه الخصوص، فبعد الحديث عن تاريخ المدينة وظروف نشأتها، يلجأ الإخوة لشرح ظروف زيارتهما للمغرب ويشددان على أنهما دعيا من قبل ليوطي كما سبق ذكرها في مقدمة الحجومري[29]، ومن تم فإن الزيارة إلى المغرب لها وضع رسمي.

نشر الإخوة تارو كتابهما "**فاس أو برجوازيو الإسلام**" في محاولة منهما إدخال دور المسيحية في تأسيس المدينة[30]، حيث ذكرا أن المولى إدريس التقى بمسيحي وأخبره بأن الموقع كان يدعى ساف فقرر المولى إدريس تسمية المدينة بفاس.

ارتكز الكاتبان على المصادر الأولى لتاريخ المدينة مترجمة إلى اللاتينية والفرنسية **كروض القرطاس** لابني أبي زرع و**زهرة الآس** للجزنائي و**وروضة النسرين** لابن الأحمد[31].

يقع كتاب "فاس أو برجوازيو الإسلام" في 102 صفحة من الحجم المتوسط، ويحتوي على اثني عشر فصلا نذكر منها:

- ✓ مدينة المولى إدريس
- ✓ الأسياد والخدم
- ✓ تجار المدينة
- ✓ يهود الملاح
- ✓ الراقصات والحفل

- ✓ الله، الاضرحة والجن
- ✓ النساء والحب

قراءة في مضامين الكتاب

قضى الكاتبان احدى وسبعين يوما في المغرب، و صفا من خلالها فضاءين غير متكافئين، فضاء ليوطي الأوروبي المتحضر ضد الفضاء الغير الأوروبي فاس التي تفتقر إلى أي جانب من جوانب الحضارة إذ يقول " **في حين أن السيارة حملتنا بعيدا عن طريق مأهول بالوحوش والناس**"[32]، و قد تكررت كلمة سيارة عدة مرات في رحلتيهما للتأكيد على العالم المتقدم بقيادة الفرنسيين، بينما فاس المجال غير الغربي، غير المرغوب فيه، فقد صورت على أنها غارقة في محيط من الغبار حيث " **الجمال، الماعز، الحمير والأغنام مكتظة بشكل غير منظم، كل شيء جنب إلى جنب مع البشر(...) هذا الباب العالي يجتاح الجمال، الأغنام، الحمير والناس**"[33].

والملاحظ هنا أن الإخوة قاما بوضع الناس والوحوش في نفس المرتبة، وبتصوير الجوانب البدائية في المدينة مقابل الجوانب المتحضرة، ففاس موغلة منذ القدم وشبه بدائية وغارقة في التقاليد والعادات الغابرة وليس ذلك مقتصرا على الأوساط الفاسية الفقيرة بل حتى في الطبقة البرجوازية التي اشتهرت بها هذه المدينة، فبالرغم من وضعها المادي الميسور فإن هذه الطبقة لم يخلصها تعليمها أو ثقافتها من أنماط الحياة المتخلفة عن روح الحضارة الأدبية[34].

انتقل الرحالان إلى داخل مدينة فاس وقد أظهرا منذ نظرتهما الأولى انطباعات سلبية، فمن خلال مكوثهما بالمغرب وصفا فضائه بأنه فقير للغاية، في حين أن فضاء فاس غني لكن تسكنه مخلوقات جاهلة[35].

العبيد:

خص الرحالان فصلا كاملا للحديث عن الرق والعبيد، فكان أول انطباع عنهم أنهم حيوانات مسكينة محكومة منذ الولادة حتى الموت بتوفير عدد من الخدمات للأسياد " **فالعبد ولد ليعمل ويعاني لأداء المهام للسيد**"[36]، وقد أورد الرحالان نصوصا من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف تدعو إلى احترام العبيد "**لأنه إذا أردت كسب الرحمة الإلهية عليك بإطعامه من طعامك وإلباسه من ملابسك(...)**"[37].

والعبيد أنواع:

- **النساء من السود** اللائي تعملن كجاريات لأسيادهن، فالعديد من الناس يفضلون معاشرة الآمة بدل الزواج خلافا لما صرح به القرآن الكريم، الذي ينص على الزواج وفق عقد، فلا مهر يدفع ولا زواج، بالإضافة إلى أنها أكثر انصياعا من الزوجة والسبب مرده إلى أن بشرة النساء من السود أكثر دفئا من ذوات البشرة البيضاء وأن هذه الأخيرة أقل نشاطا وحيوية، أما في حالة وفاة السيد، يصبح الوليد غير الشرعي الوريث الرئيسي للأسرة[38].
- **دادا:** أو المربية، فغالبا ما تشترى من قبل الزوج لوالدي الزوجة وبالرغم من إلغاء الرق في المغرب إلا أن مظاهره بادية في شوارع المدينة وأسواقها.
- **الخدم**: يوفرون خدمات للسيد سواء داخل البيوت أو خارجها "**فبيوت الأغنياء لا تخلو مداخلها من عبدين أو ثلاثة على الأقل: أحدهم لحراسة الباب والثاني للسخرة وغالبا ما يكون إلى جانبهما ثالث يعنى بدابة سيده، أما إذا كان هذا الآخر من موظفي المخزن فإن عدد عبيده لا يتجاوز الثلاثة أو الأربعة ليصل إلى السبعة أو الثمانية من العبيد**"[39].

الإنسان الفاسي:

إن الإنسان الفاسي يهوى الرياء، و يحب التظاهر بالغنى و الثروة، و أشد ما يحرص عليه هو أن يمتلك مسكنا فخما، لأنه يعده قبر حياته، و أول ما ينبغي أن يقتنى، و آخر ما يجب أن يباع[40]، بل الأدهى من ذلك في رأي الأخوين أن امتلاك هذا البيت هو منتهى طموح هذه الفئة من المغاربة المجبورين على اتباع التقاليد و لذلك هم أقل ذكاء من أن يبدعوا "**فما يقومون به اليوم هو ما سبق لهم القيام به**"[41]، و يضيف بأنه محب للوحدة ففي فصل الشتاء لا يرى الجار جاره بالرغم من أنهما يشتركان نفس المنزل، كسول جدا...[42].

والملاحظ هنا أن الأخوين يبالغان كثيرا في تبخيس المستوى الفكري والعقلي للإنسان الفاسي خاصة والانتقاص من مكانة المغرب عامة.

وفي معرض حديثهما عن التاجر الفاسي، أبرز الرحالان دور هذه الفئة ومدى تأثيرها الواضح في المجتمع الفاسي "**ففي فاس الكل تاجر**"[43]، فهم يقومون بزيارة بعضهم البعض والجلوس على حافة المحلات و تبادل النكت فيما بينهم، و في المساء يجتمعون لاستكمال الثرثرة المعهودة، ويضيف الشقيقان إلى أنه بالرغم من أنهم أشخاص متعصبين، متكبرين، إلا أن السمة التي

يمكن أن تطغى على كل هذه العيوب هي الأدب، فالأبناء يحترمون الآباء من قبيل تقبيل الأيادي وإظهار أقصى درجات الحذر والاستماع، ويحترم الإخوة الصغار أخاهم الكبير، وتحترم الزوجة زوجها و ذلك بعدم رفع صوتها عند حضور الأجانب[44].

المرأة الفاسية:

يصف الرحالان

- المرأة الفاسية بالخائنة فيمكن أن تقع في حب صديق زوجها أو أحد أصدقاء إخوتها، فالمرأة البورجوازية تخرج بمعية جاريتها كما يمكن للزوج أن يمنعها من الخروج إلا إذا كان هناك مانع كزيارة أقربائها أو صديقاتها، وعن ملابسها "**فهي تلبس حايكا يغطي رأسها إلى أخمص قدميها فلا يظهر منها إلا العينين**"[45].

وقد أورد الرحالان حالات لنساء خرجن خلسة لملاقاة عشيقهن، لكنه غالبا ما تسلم الجرة، فقد يتم العثور على الزوجة برفقة عشيقها، فإما يتم اقتيادها لبيت زوجها خلسة أو تعاقب بالطلاق وهذا عائد إلى غنى أو فقر الزوجة[46].

- المرأة كراقصة: تلعب دورا مهما في أي حفلة، دور المغنية، الراقصة، المومس والخاطبة، تحضر إلى جانب راقصات أخريات تشكلن مجموعة صغيرة، ترتدين ملابس رائعة مزهرة، تقمن بغناء الإيقاعات الأندلسية تارة وترقصن تارة أخرى.[47]

وقد أورد الرحالان قصائد لسي فضول تتغنى بها الراقصات لتسلية الرجال والنساء، فقديما كان مولاي حفيظ يستدعي الحاجة زينب وراقصات مجموعتها للترويح على نفسه وتسلية نسائه[48].

في معرض حديثهما عن الفضاءات الدينية في المدينة، يذهب الإنسان الفاسي إلى المسجد لأربع أو خمس مرات في اليوم ،ثم يزور ضريح المولى ادريس الذي استأثر باهتمام الرحالة الأجانب، وفي هذا الصدد يقول الرحالان: يعتبر ضريح المولى إدريس من المعالم التي استأثرت اهتماماتنا و أثارت اندهاشنا "**فمولاي ادريس مؤسس المدينة وراعيها في المخيلة المغربية يكاد يكون متساويا مع الله**[49]"، فقد أصبح قبلة للجميع لأخذ البركة، فلا يتم أي بيع أو شراء ولا أية معاملة بدون ذكر اسمه، فشخصية هذا الوالي تملأ كل أركان فاس، فعلماء القرويين يذهبون لزيارته قبل انطلاق الدروس، أما التجار فلا يفتحون أبواب محلاتهم من دون الذهاب إليه و رمي العملات النقدية التي من شأنها أن تجعل يومه مربحا، كما يتم إطلاق الوعود في حالة الربح أو الخسارة[50].

تحدث الرحالان أيضا عن تحريم القرآن لقتل المسلم وتوعد القاتل بجهنم، وقد اعتمدا على قصة خرافية مفادها أن سيدي أحمد التيجاني وعد المسلمين بالجنة حتى لو قاموا بقتل سبعين من أبناء جلدتهم[51].

في الختام، يمكن القول إن تعرض الثقافة الإسلامية لحملات التشويه والتضليل ليس وليد اللحظة بل يرجع لعقود ممتدة ضاربة في أعماق التاريخ و هذه الصور يعاد تشكيلها و تبنيها كلما سنحت الفرصة لذلك، وقد شكل الاستعمار أهم المصادر الغربية لهذه الصورة حيث كان سببا في تشويه صورة الإسلام و العرب في الغرب بمختلف الأساليب و الوسائل بدء بالكتابات الغربية ومرورا بوسائل الإعلام، إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أهمية هذه الكتابات التي سلطت الضوء على الأبعاد الثقافية و التاريخية للمغرب خلال القرن العشرين.

الهوامش

[1] Charles De Foucauld , Reconnaissance Au Maroc, Libraire colonial, Paris, 1888 ,P.P.3-4-5

[2] Eleanor Elsner , The majic of Morocco, Great britain : purnel,p16

[3] Le Marquis De Segonzac, voyage au Maroc(1899-1901), Paris : Librairie Arnaud collin,1903,p96

[4] Ibid,.p.98

[5] Le Marquis De Segonzac, voyage au Maroc(1899-1901) p.150

[6] أندريه شوفريون، رحلة إلى المغرب، ترجمة: د فريد الزاهي، دار الكتب الوطنية، ط1، أبو ظبي، 2010، ص 126

[7] المرجع نفسه، ص:93

[8] المرجع نفسه، ص38

[9] المرجع نفسه ، ص122

[10] عبد الواحد أكمير، الهجرة إلى الموت:اسبانيا و أحداث إليخيدو، منشورات الزمن، العدد 28، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2001،ص108

[11] Arthur De Capell Brooke, Bart, Sketches And Spain and Morocco ,London : Whitefriars ,1831, p.141

[12] Ibid,. p.116

[13] عبد المنعم بونو،أدب الرحلات البرتغالي(1870-1996):صورة المغرب ، ص.6

[14] المرجع نفسه، ص.11

[15] Edmondo De Amicis, Morocco :its people and places, translated by C.Rollin-Tilton,London,1882,p.p 9-10

[16] Ibid,.p.p 26-27

[17] Edmondo De Amicis, Morocco :its people and places,.p.35

[18] Arthur Leard, Visit To the Court of Morocco, London :Sampson low,Marston, Searle and Rivington,1879,p.45

[19] Ibid., Hay, p.109

[20] John Horne, Many Days in Morocco, Robert MC Bridge,P.25

[21] Reynolde Ladreit de la Charrriere, Voyage Au Maroc(1910-1911), Paris : E.Laros , p.p 65-98

[22]Arthur Leard, Visit To the Court of Morocco, p.53

[23]Arthur Leard, Visit To the Court of Morocco, p.66

[24]Ibid., p.84

[25]Ibid., p.99

[26] A.Bendaoud et M.Berriane, Morocains et Allmands : La perception de l'autre,Casablanca : Imprimerie Najah el Jadida , 1993, p.170

[27] https://fr.wikipedia.org/wiki/Jérôme_Tharaud

[28] http://www.universalis.fr/encyclopedie/tharaud-ernest-dit-jerome-et-charles-dit-jean/

[29] Jérome et Jean Tharaud , FÈS ou les Bourgeois de l'Islam , Rabat: Marsam, 2008, p.4

[30] Mahmi, Najah. "Travelling Morocco in the 19th and 20th Centuries: History or Historical Fictionalising?,"Coldnoon: Travel Poetics, International Journal of Travel Writing , 2015, p 93.

[31] Ibid., P.95

[32] Jérome et Jean Tharaud , FÈS ou les Bourgeois de l'Islam, Paris : Libraire Plon,1930, P.5

[33] Ibid.,p.6

[34] Ibid.,p.5-6

[35] Ibid., P.8

[36] Ibid,. p.8

[3737] Jérome et Jean Tharaud , FÈS ou les Bourgeois de l'Islam,. p.9

[38]Jérome et Jean Tharaud , FÈS ou les Bourgeois de l'Islam., p.11

[39]Ibid., p.9

[40] Ibid., p.8

[41] Ibid., p.8

[42] Ibid., p.20

[43] Jérome et Jean Tharaud , FÈS ou les Bourgeois de l'Islam, p.16

[44] Ibid., p.20,21

[45]Jérome et Jean Tharaud, FÈS ou les Bourgeois de l'Islam, p.68

[46] Ibid., p.71

[47] Ibid., p .28

[48] Jérome et Jean Tharaud, FÈS ou les Bourgeois de l'Islam, p.3230-

[49]Jérôme et Jean Tharaud, FÈS ou les Bourgeois de l'Islam., p.39

[50] Ibid., p.38

[51] Ibid., p.40